المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 08-09-2006 العـــدد : 12398
الصفحـات : 29 المسلسل : 219

حوارات خليجية مثمرة لتهدئة الخواطر

لا علاج لاختلاف وجهات النظر سوى الحوار والتواصل والحرص على فتح قنوات تبادل الرأي من أجل إزالة سوء الفهم في العلاقات بين الدول. هذه القاعدة هي جوهر الدبلوماسية التي من أهم أهدافها التعايش بين الأمم.

ونلاحظ أن الأزمات التي اشتدت وتحولت إلى حروب هي نتاج سوء الفهم والتباعد، وجاءت حصيلة هذا التباعد الحروب المدمرة. في تاريخ البشرية توجد أعداد كثيرة من الحروب التي لا مبرر لها، انفجرت لأن العاطفة والحماس تغلبا على العقل والحكمة، وهما قوى التفاوض والتواصل.

لنأخذ الحرب العالمية الأولى التي أسست بذور الحرب العالمية الثانية. لم يكن لها ذلك المبرر والمحرض سوى غياب العقل، إمبراطور أحمق في ألمانيا يشجع إمبراطوراً حزيناً ومجروحاً في النمسا للاقتصاص من دولة غلبانة ضعيفة قتل فيها ولي العهد النمساوي أثناء زيارة رسمية، واشتط الإمبراطور الحزين الذي رفض الاعتذار المستسلم من صربيا وقرر عقابها دون مبرر، كل ذلك يتم وسط أصوات أوروبية تنادي بالتهدئة، ويمكن القول: إن كارثة ألمانيا حصيلة استصغار الإمبراطور الأحمق للحوار.

ومع هذا المثال الذي أكتبه في أعقاب زيارة سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر إلى واشنطن يأتي تصريح الأمير بأنه تطرق مع الرئيس بوش في لقائه السنوي في واشنطن إلى المشكلات والقضايا في الشرق الأوسط، مع تأكيد كلا الطرفين على ضرورة تعزيز وترسيخ السلام في المنطقة. ويضيف الأمير قائلاً: (صحيح أن هناك اختلافاً في وجهات النظر بين الولايات المتحدة والمنطقة، ولكن هناك اختلافات في وجهات النظر في كل العالم، ونؤكد حرصنا على أن نجد حلولاً للقضايا الإقليمية المختلفة).

ويرد الرئيس بوش على هذه الملاحظات بقوله: (إن الولايات المتحدة تعتمد على صداقتها المشتركة مع الكويت والآخرين في المنطقة، والاستماع إلى نصائح حول طائفة من القضايا، وإنه أجرى حواراً استراتيجياً مهماً لتعزيز السلام والاستقرار في الشرق الأوسط).

وتعقب الدكتورة رايس وزيرة الخارجية بأن الاجتماع رائع، والكويت صديق جيد وشريك استراتيجي للولايات المتحدة، وأن المباحثات تناولت برنامج إيران والأمن في الخليج وقضية فلسطين والوضع في لبنان، وعززت وسائل الحوار عن طريق الاجتماع السنوي الاستراتيجي الذي سيتم في الكويت لتعزيز الشراكة الاستراتيجية.

تأتي هذه الزيارة بالتزامن مع جولة يقوم بها سمو رئيس الوزراء الشيخ ناصر محمد الأحمد الصباح إلى عدد من دول أوروبا يصاحبه وفد اقتصادي ترجمةً للدبلوماسية الاقتصادية. ويلتقي هذا النشاط الدبلوماسي المتحرك مع البيان السعودي الصادر من المملكة العربية السعودية الذي يحذّر من خطر تفكيك العالم الإسلامي الذي يواجه تحديات من داخله وخارجه؛ مما يتطلب من القيادات الإسلامية والسياسية والفقهية والثقافية والاقتصادية الفاعلة فيه أن تنتبه للقوى والتيارات والأفكار التي تعمل على تفكيك أوصال الأمة وتبذر الشكوك والتفرقة داخلياً؛ مما يدعو إلى تكريس الجهد نحو توحيد الكلمة والتعايش بين المذاهب وتدعيم الوحدة الوطنية.

ومع هذا التوجه التقليدي الخليجي للاعتدال تبرز الملاحظات التالية:

أولاً: لا جدال في أن النهج الحواري والسلوك العقلاني والتواصل الإقليمي والدولي حصّن المنطقة من المغامرات، وأبعدها عن حافة الهاوية، ووقاها من سوء التقديرات، ووفر لها القراءة الصحيحة للأحداث، وهو رصيد ضخم صان دول الخليج من الضياع الذي تسيّد الدول الراديكالية والثورية وخربها، ونستذكر جميعاً حالات الانتشاء بالتصفيق الجماهيري الذي دفع الحكام إلى قرارات مدمرة، أهل الشام ومصر وأهل السودان وليبيا وأهل الجزائر يعرفون مضار التهور، وأهل العراق يعيشون في تراث الجنون الذي خلفه نظام صدام.

ذهاب الأمير إلى واشنطن، وزيارات رئيس الوزراء، والتواصل السعودي الإقليمي والعالمي كلها ثمار العقل الذي يقرأ بهدوء وحصافة خالياً من ضباب الحماس الذي يرافق دبلوماسية الجماهير وخطب الميادين.

هناك مسؤوليات لا بد أن تقوم بها دول الخليج، ثنائياً أو كمجلس تعاون أو انفراداً بمبادرات بعد تحليل هادئ للتطورات الإقليمية من أجل نزع الفتيل.

ثانياً: لا يمكن أن نتجاهل البيان السعودي حول الدعوة إلى تكريس الوحدة والتعايش بين المذاهب؛ فالبيان يأتي من لائحة الهموم التي يحملها الملك عبد الله بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين الذي يقود مسيرة إصلاحية بهدوء وبتدرج.

والدعوة إلى الوحدة الوطنية ليست موجهة إلى العراق حيث الصدام الطائفي، وليست فقط إلى إيران التي تسعى في رعايتها للمذهب الشيعي، وإنما جوهر الدعوة يتجه إلى داخل المملكة التي تشهد حواراً هادئاً بين القديم الجامد الذي يخاف من التطور وبين الرأي الذي يسعى للانسجام مع دعوة الملك في التسامح والتسامي والارتفاع عن الصغائر، وهي المبادئ التي تجسد الدين الإسلامي المستنير.

لا يمكن قبول الرأي الذي يفصل المذاهب ويدين بعضها ويتحصن بالموروث، فأهل المملكة شعب واحد، والوضع السياسي فيها نتاج قيادة حكيمة واعية، ونحن نستذكر التاريخ القريب عندما رفض الملك عبد العزيز أصوات زعامات الإخوان الذين طالبوه برفض المخترعات العلمية بما فيها استعمال السيارات والطائرات وأدوات الاتصالات والأسلحة الحديثة، وطالبوه بعدم الاعتراف بالحدود التي رسمت في مؤتمر العقير ونظم الحدود بين الدول، وبعدم التهاون مع الكفار.. تلك أصوات

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 08-09-2006 العـــدد : 12398
الصفحـات : 29 المسلسل : 219

تكفيرية لو فازت لكان وضع المملكة الآن غير ما نراه.

هناك أصوات لا تعطي حقاً كاملاً للرأي الآخر، وأصوات لا تريد أن تسمع أصوات النساء، ولا تريد حقوقهن ولا مشاركتهن في الإدارة الحديثة، ولا تريد مواصلة الحوار الوطني الذي يرعاه الملك عبد الله؛ لأن الحوار يوسع المدارك ويضعف التطرف ويفضح العيوب. وصوت الحكمة من الملك في بيانه في مجلس الوزراء موجَّه إلى الداخل والخارج؛ فالتعايش بين المذاهب جوهر السلم والأمن الوطني، فقد جاء الإسلام العظيم من دون المذاهب التي اختلقها البشر، ولأنها من وضع البشر ففيها الاجتهاد الذي يدعو إليه الإسلام بتحفيز العقل واحترام مرجعيته.

ثالثاً: يتسيَّد المنطقة التوتر من البرنامج النووي الإيراني الذي صار أجندة إيرانية وطنية أمنية واستراتيجية تتعامل معه السلطات الإيرانية بحماس وانفعال في العلاقات الإيرانية مع مجلس الأمن بعد قراره حول إيران في لهجة مواجهة وتحد* واستخفاف وممارسة حافة الهاوية، وهنا تبرز مسؤولية أهل الخليج في إسداء النصح الصريح إلى طهران حول مخاطر أسلوبها، وممارسة حوار جدي بالتواصل مع واشنطن بإبقاء المفاوضات مع المجموعة الأوروبية وعدم التصعيد، فالصدام سيؤدي إلى التدمير، ليس فقط داخل إيران وإنما يتعدى ذلك إلى البيئة الخليجية وإلى العراق ومنطقة الشرق الأوسط. تعلمك إيران النزاع المزعج داخل العراق، ولها حضور على ساحل الخليج، ولها مواقع في لبنان وسوريا، وأصدقاء في حماس والسودان، لا يمكن تجاهل هذا الواقع، وتأتي دبلوماسية التواصل الكويتي مع واشنطن، ومشروع الملك عبد الله السياسي في المنطقة من أجل إيجاد الحلول، فإيران لها مخاوف لا بد من طمأنتها، والأسرة الدولية لها حق لا بد من تقديره في القرار الإيراني.

رابعاً: تلعب المملكة دوراً مهماً داخل العراق، وبخاصة مع الزعامات العشائرية القبلية، ولها وزن وحضور توظِّفه لتصويب الوضع المأساوي في العراق بإبعاد العراق عن الانفجار الطائفي، والحفاظ على الوحدة الوطنية، وشحن الجهود لمواجهة الإرهاب، مع توسيع دوائر الحوار مع مختلف الأطياف.

وفي سوريا وضع لا بد أن يتعامل مع الواقع الدولي بأسلوب تخرج من قنوات الحزب الجامدة، وتبني أسلوب الانفتاح الخالي من قيود الأيديولوجية البعثية، فإذا قبلنا القول بأن سوريا تملك دوراً محورياً في الوضع الإقليمي فإن شروط ممارسة هذا الدور هو التفاهم مع القوى العالمية والإقليمية، فمن دون الدعم العربي لن تستطيع سوريا ممارسة الدور الذي تريده، ولن يقبلها أهل القرار العالمي دون تبدلات في الفكر السياسي السوري، وأبرز المطلوب في هذه التبدلات أن المقاومة لن تعطي سوريا شيئاً، وأن التصور بأن حالة حزب الله تتكرر في غزة أو في الجولان أمر يخلو من الواقعية، ولا مجال لتحريك الجبهة السورية دون التبني السوري لخيار المفاوضات والتحاور لاسترجاع الجولان بدعم عربي ومؤازرة دولية، مع الإدراك بأن تشكيلة حماس وحزب الله والجهاد هي أعباء على سوريا وقيود على مستقبلها.

رابعاً: تنهض الديناميكية السعودية المستجدة بالنزاع الخليجي الموحد في برنامجها المستقبلي في الداخل والخارج.

نتحدث عن الوضع المؤلم للشعب الفلسطيني، فالواقعية السياسية لا تسمح لهذا الشعب بأن يتقدم تحت نظام حماس الذي يتحدى النظام العالمي وقواعد العمل السياسي في المنطقة بما في ذلك الاتفاقيات والعهود، ويحتاج السيد أبو مازن إلى رافعة خليجية جماعية تساعده في تولي المسؤولية المباشرة وبما يسمح لاستئناف المفاوضات مدفوعاً من الثلاثية الخليجية - المصرية - الأردنية وبمؤازرة المجتمع الدولي.

ويحتاج السودان إلى الإطلالة السعودية - الخليجية في تعريف الحكم بفضائل الاعتدال دون حماس طاغ وتحد* مسرحي.

لا يمكن ترك مصداقية المنطقة للشوارع السياسية ولا للأيديولوجية الإسلاموية التصادمية، ولا للجمود الحزبي البعثي.

هناك أمل جماعي عربي بأن يقوم التجمع الثلاثي الخليجي - الأردني - المصري باستخراج المنطقة من العاجزين عن التلاحم مع العصر الحديث من أجل الأمن والسلام والمستقبل الواعد.

abdullah_bishara@yahoo.com